من علماء الحرمين

سير و مواقف لعلماء الحرم المكي و المدني و من درّس فيهما

الشيخ

عبد السلام بن صالح العييري

من علماء الحرمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء وجعلهم بمنزلة النجوم في السماء، وخصهم بميراث الأنبياء، أحمده على ما أسبغ من النعماء، وأجزل من العطاء.

حمداً كثيراً طيب الآلاء....يملأ أرجاء الأرض و السماء.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله وخيرته من خلقه، فصلوات ربى وسلامه عليه، أما بعد :

أشكر الله تعالى أن وفقني للتشرف بذكر أخبار العلماء، و أحمده أولاً وآخراً.

قبل أن أبدأ بذكر بعض أخبار العلماء، لابد من ذكر مقدمة لما ذكرته سابقًا من أخبار العلماء ، ولما سيأتي بإذن الله عز وجل، فأقول مستعينًا بالله:

المقدمة الأولى:

علماء ومصلحون قاموا بالتعليم وبنوا الخير ثم ماتوا ولم يعلم بهم أحد، ولا يضرهم ذلك؛ لأن الله تعالى يعلم بهم، لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر، لكن الله يعرفهم.

المقدمة الثانية:

التبعة والمسئولية على تلاميذ وأقارب هؤلاء العلماء وعلى الكتاب والمؤرخين، لم لا يذكر هؤلاء؟ ولا تعرف تفاصيل سيرهم؟

المقدمة الثالثة:

أخبار العلماء التي أذكرها، إنما هي ملتقطات، تجمع من عدة كتب ويصعب أن توجد في كتاب واحد.

المقدمة الرابعة:

لا يخفى نفع هذه السير والأخبار على الجامع والسامع و القارئ ؛ لأن القارئ يضيف أعمارًا إلى عمره، ويضيف تجارب، وأخبار ونوادر وطرائف، ففيها متعة وقدوة.

المقدمة الخامسة:

ربما يُكتب عن العالم أو يجمع شيء، لكنه قليلٌ في مقابل ما بذل من الخير لهذه الأمة. وأنصح أن يكون للإنسان دفتر يكتب فيه بعض الذكريات التي تمرُّ به، والمواقف التي يعايشها مع طلاب العلم ومع العلماء، لأيِّ موقفٍ يمرُّ عليه، فقد يحتاجها يومًا ما؛ فقد لقيت الكثير من أهل العلم وتتلمذت -ولله الحمد- على عدد منهم ليس بالقليل، لكن لعدم كتابة سيرهم وأخبارهم والمواقف التي مرت بهم ذهب كثير منها فلا أكاد أذكر إلا المُجملات، وقد ندم الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- ندمًا على أنه لم يكن يكتب أيام شبابه، فكتب الذكريات بعد السبعين، فكيف لو كتبها أيام الشباب؟

المقدمة السادسة:

نعلم أنَّ العلماء ورثة الأنبياء، إلا أن العالم قد يزهد فيه أقرب الناس إليه، ولا يحرص عليه إلا الغرباء ، كما قيل: (أزهد الناس بالعالم جيرانه)، و كما قيل: (مُت تَعظُم) يعني: أن الإنسان يعظم إذا مات، وقال بعضهم: (المعاصرة حجاب)، فمن كان معاصرًا لعالم قد يوجد من هو أقل منه علمًا فيما مضى، لكن لأن من مضى كُتب بالتاريخ صار عظيمًا، لكن العظماء الذين يمشون بين يديه يتساهل بأمرهم.

المقدمة السابعة:

هذه السلاسل المباركة لم أوفها حقها، و لم أجلس لها جلوساً طويلاً للجمع، إنما هي ملتقطات من عدة كتب، و من عدة مسموعات و مجالس، على أن التعاون و التفاعل معدوم أو نادر إلا الشيء القليل، فعلى سبيل المثال: لما أخرجت الشريط الأول **(أخبار الصالحين)** اتصل بي عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله الخليفي وهو إمام مسجد في مكة وموظف في الإمارة – وفقه الله وبارك فيه – ، وهذا من البر بوالده، اتصل بي وقال: مستعد أن أعطيك كل ما تريد عن الشيخ، وأخرجت ذلك في شريط من الأشرطة. فالتعاون من قبل بعض أقارب العلماء وتلاميذهم معدوم أو نادر، وبعضهم تطلب منه الشيء كأنك تطلبه الدين، حتى تكتب عن عمه أو خاله أو أحد أقاربه من العلماء ومع ذلك لم أجد تفاعلًا و لا تعاوناً .

المقدمة الثامنة:

سأسير بإذن الله -عز وجل- في هذه السلسلة ، وقد قطعت في ذلك ثمان سنوات في هذه المواضيع، وعندي عدد منها لم أخرجه حتى الآن، و شخصيات كثيرة وهذا بلا شك جهد المقل ، و قد جئتكم ببضاعة مزجاة.

المقدمة التاسعة:

رفع للهمة وتربية للنفس على المعالي وإزالة العجب من القلب، إذا حصّل الإنسان علماً أو زاد عن غيره فهماً، فعليه أن يقرأ سير هؤلاء الأعلام و أن يسمع بعض أخبارهم، وذكر هذه الأخبار عن العلماء كالدَّين الواجب الوفاء على الشرفاء، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

المقدمة العاشرة:

بعضهم يكتب التراجم والسير والأخبار ويكد نفسه وخاطره في الكتابة والتحقيق والتدقيق، فإذا مات لم يُكتب عنه، مثل: الشيخ عبد الله البسام – رحمه الله– الذي كتب (تاريخ علماء نجد) ، وكل من أتى إلى نجد، أو أقام بها، أو نفع بها في مجلدات، و لما مات لم يُعرف عن وفاته، ولم يكتب عنه إلا القليل.

وكذلك الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين، وهو من كبار المؤرخين من سكان مكة ، حقق طبقات الحنابلة ، وألف تراجم لمذهب الإمام أحمد للعلماء، وهو كتاب (تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة) في خمس مجلدات إلى زمنه وقد توفى عام ألف وأربعمائة وسبعة عشر تقريبًا، ولا يعرف عنه إلا القليل، ربما لا يعرفه كثيرًا من الناس، صالح بن عبد العزيز العثيمين هو ليس من أقارب الشيخ إنما من سكان مكة.

المقدمة الحادية عشرة:

جمع هذه السير و الأخبار ، وقراءتها وإلقاؤها ، سبب لزيادة الإيمان وحب الخير والصلاح والإصلاح .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ..إن التشبه بالكرام فلاح

وهذا الكلام يدعونا أن نحب هؤلاء العلماء في الله ، وأن نتقرب إلى الله بحبهم ، فالحب في الله و البغض في الله أوثق عُرى الإيمان.

المقدمة الثانية عشرة:

من مقاصد هذه السلسلة التي بدأتها منذ مدة طويلة ، وربما – و لله الحمد – لم أُسبق إلا من محاضرة للشيخ عبد الرحمن السديس إمام الحرم عن شيخه الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – ، ولا أقول ذلك من باب أني تقدمت على غيري ، لكن أحمد الله تعالى أني مستمر على هذا الأمر ، نسأل الله أن يبارك في هذا الجهد و أن ينفع به.

المقدمة الثالثة عشرة:

من المقاصد: أن نتلقى عن العلماء الأحياء، وأن نتسابق لدروسهم ومجالسهم ، ونسألهم عن أخبارهم وأخبار العلماء الذين لقوهم ، فهذه التربية المباشرة المؤثرة في طالب العلم.

فأدركوا من بقي قبل الندم ، و قد بقيت ثلة من أهل العلم من الكبار ، و من الحُفّاظ ، و ممن يضبط التاريخ و الأحوال ، فهؤلاء العلماء

مجالسهم مثل الرياض أنيقة... لقد طابت منها الريح و اللون و الطعم

المقدمة الرابعة عشرة:

نحن في زمن انتشرت فيه الشبهات والشكوك وتكلم الرويبضة ، وتكلم الجاهل الذي لا يعرف ، بل لا يملك إلا شهادة الميلاد ، وربما تكون ممزقة أيضًا ، و يتكلم في كل شيء ، وإذا ذكر العلماء قال: رجال ونحن رجال ، ويبدأ ينازعهم ويناطحهم ، و يدخل نفسه فيما لا يعنيه ولا يغنيه ولا يحسنه ، و الناس أعداء ما جهلوا ، فكيف نعرف ، أو كيف يعرف الجاهل قدر العالم وهو لا يعرف العلم أصلًا ولا يقدر العلم ولا العلماء؟

لا يُميز بين الحديث والفقه ، ولا التفسير و لا الفرائض ، و لا يعرف الشعر النبطي من الآية ، و لا يفرق بينها ، كيف يعرف قدر العلماء إذا كان لا يعرف العلم؟

فلذا يكون عنده العالم والجاهل سواء فلا يُطالب أحيانًا من بعض الناس ولا يطلب من الناس ما لا يطيقون ولا يكلفون إلا ما يعرفون ، لكن المأخذ على طالب العلم ، و على من يفرق بين العالم وغيره ، كيف يموت العلماء و لا يؤخذ عنهم و لا يُعرف عنهم شيء ؟

المقدمة الخامسة عشرة:

حتى نرى التكامل في حياة هؤلاء العلماء بين تحصيل للعلم و بذله و نفع الناس و الحرص على العبادة ، هؤلاء العلماء والحفاظ لو كانوا بين أهل البدع أو من أهل البدع على شدة حفظهم وتقدمهم في العلم ، أقصد هؤلاء العلماء الذين سأذكر و ما ذكرت سابقاً لو كانوا من أهل البدع لغسلوا عن أقدامهم وعظموهم وجعلوا فلان آية الله ، و فلان العارف بالله ، و هكذا من العبارات أو الألقاب ، كما قيل:

ألقاب مملوكة في غير موضعها...كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فلو كان هؤلاء العلماء عند بعض أهل البدع لعظموهم.

و نحن يمر العالم، وربما يعيش ويموت و لا يعرف عنه إلا من طريق الأوراق الرسمية: أن فلان كان له ارتباط مثلاً بدرس علمي ، أو محاضر في جامعة ، أو نحو ذلك ، و نحن لا نعرف العالم إلا إذا مات.

المقدمة السادسة عشرة:

من أهمية هذه التراجم ايضاح جهود العلماء ، و إبراز القدوات المعاصرة.

كما عزم الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني-رحمه الله- أن يترجم للشيخ الألباني أرسل له الشيخ ابن باز رسالة – رحمهم الله – يؤيده ، و هذا الكلام في حياة الألباني .

فأرسل له الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – رسالة قال فيها:

(أحسنتم فيما عزمتم عليه من كتابة ترجمة توضحون فيها جهود وأعمال العلامة الجليل الشيخ الألباني) ا.هـ

و نحن أيها الأكارم: بحاجة لقدوات معاصرة ، فلو ذكرت لكم الصحابة والتابعين ، لصعب اللحاق بهم ، لكني أتكلم عن أُناس بعضهم مات قبل شهر ، فيصعب أن يلحق بالأقدمين.

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم...ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

فهؤلاء علماء وعباد عاشوا بيننا ، و في بلادنا ، و ربما أدركنا بعضهم ؛ لتقتدي الأجيال بأمثال هؤلاء الرجال.

المقدمة السابعة عشرة:

هذه السلسلة رفعاً للإحباط الواقع بين المسلمين ، ودفعًا للتشاؤم ، ونشر التفاؤل و إظهار نماذج رائعة

ففي كل واد بنو سعد ...و لله أوس قادمون و خزرج

لئن مات أصحاب النبي ﷺ ، و ذهب التابعون ، و ذهب العباد ، فيوجد في زمننا من لا يقصر ربما علمهم على المتقدمين ، لكن للأولين فضل الصحبة ، و لهم فضل القرون المفضلة ، لكن يوجد في زمننا من يقاربهم في العلم ، و من يقاربهم في العبادة ، على أن الصحابة لا يدانيهم أحد ، بمعنى: لا يصير قريبًا منهم ، لا العبارة العامية المعروفة.

و سماع أخبار هؤلاء يُحرك مشاعر القلب لحب الخير ، والعلم و الفضل و العبادة .

لما سُئل المذيع الناجح الدكتور الدكتور فهد السنيدي – وفقه الله – : ماذا استفدت من الإعلام؟ قال: معرفة الأعلام.

المقدمة الثامنة عشرة:

معرفة هؤلاء الأعلام والقراءة عنهم و تتبع سيرهم ، و إن كنت مقلا في ذلك من ناحية القراءة حولهم ، إلا ما كان تهيئة لمحاضرة أو ذكرًا لخبر بعد وفاة عالم ، فهي أمور متفرقة. و نحزن على قلة الوفاء للعلماء ، إذا مات

عالم يكتب عنه أربعة أسطر ، وقد قرأت خبراً عن وفاة الألباني – رحمه الله– في إحدى الصحف: (مات الشيخ الألباني ، له مؤلفات إسلامية). فقط أربعة أسطر أو خمسة ، و هذا الوفاء لعلمائنا ، و الرجل الصالح ، و العالم ، و الباذل يدعو الناس بفعله قبل قوله.

من أراد أن يكتب أو يجمع سيُلاقي الصعوبات ، و لن يجد احتفاءاً بهذا الموضوع من قبل عدد من الناس ، ما أدري ما السبب؟

من الأسباب ما ذكره ابن عقيل الحنبلي في زمنه عن قلة التأليف عند الحنابلة ، فهم من أقل الناس مؤلفات ، عندهم كثرة تعبد واحتساب و بُعد عن القضاء ، و قلة التأليف وكثرة التدليل ، هذا بالجملة أعمال الحنابلة ، و تأثروا بهذا إلى زمن قريب ، فالمؤلفات قليلة ، فمن أراد أن يكتب أو يجمع فسيجد صعوبات وعقبات.

بعض هذه المقدمات ذكرتها ضمن الكلام ، و ربما بعد قليل سأذكر الموقف و لا أذكر التعليق عليه ولا العبرة منه ؛ ليبقى طرياً شهياً كما هو ، ولا أغيره بتعليقي ، (فيكفي من القلادة ما حاط بالعنق) ، و روعة الموقف أن يُترك هو يتكلم عن نفسه ، وهؤلاء العلماء الذين سأذكرهم ، منهم من تميز بالحديث ، و منهم من تميز بالإقراء و القراءات ، و منهم من جمع حظوظًا كثيرة من العلم ، ونال منصباً ، و تولى التدريس.

و كلهم من رسول الله ملتمس...غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم[١]

و امنن علي بفضل منك يعصمني... من كل سوء فإني عاجز واهي[٢]

فالنقص في كنه الطبيعة كامن... فبنو الطبيعة نقصهم لا ينكر[٣]

المقدمة التاسعة عشرة:

سبق لي الحديث عن سيرة الشيخ عبد الله الخليفي ، و الشيخ حماد الأنصاري ، و الشيخ عطية سالم ، و الشيخ عبد العزيز بن صالح ، و الشيخ عبد الله بن حميد ، و الشيخ علي طنطاوي ، و الشيخ عبد الله البسام ، و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

هؤلاء تكلمت عنهم في محاضرات ، و ليست أخبار ملتقطات ، و إنما محاضرات ، وفيهم من لم يمت ، نسأل الله أن يمد بأعمارهم على الطاعة ، و أن يبارك فيهم ، و جهودهم ، كالعلامة الشيخ عبد المحسن العباد ، و الشيخ محمد السبيل ، و الشيخ عبد الرحمن العجلان.

أتحدث عن علماء الحرمين ، و منهجي ألاَّ أتكلم عن حي ؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، و (اقتدوا بمن قد مات) ، و لما تحدثت عن الشيخ ابن

---

[١] البردة للبوصيري
[٢] مالك الملك لمحمود سامي البارودي
[٣] عزاه عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس إلى القاسم بن أحمد الأندلسي ١١٦٩/٢

عقيل –رحمه الله – كن ذلك لما جاوز الثمانين ، ذكرته من ضمن بعض محاضراتي ولم أسمه، ففي مُحاضراتي لا أذكر الأحياء.

المقدمة العشرون:

المجيء إلى مكة

يأتي بعض العلماء إلى مكة للحج أو العمرة ، أو إلى المدينة للزيارة ، فيرغب عدد منهم البقاء مدة لتلقي العلم والتعليم ، منهم :

رحمة الله الهندي: صاحب كتاب في الرد على النصارى ، بسبب هذا الكتاب اهتدى للدعوة إلى الله الشيخ أحمد ديدات - رحمه الله- فصار داعية بسبب كتاب الشيخ رحمة الله الهندي وكان مدرسًا في الحرم، إذا جاء لمكة يدرس في الحرم.

الشيخ محمد حياة السندي: و هو شيخ إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب ، و قد لقيه في الحرم النبوي و تتلمذ عليه وأجازه بالأحاديث.

شمس الحق العظيم أبادي: شارح سنن أبي داوود ، فكان إذا جاء لمكة يدرس في الحرم.

الشيخ شعيب الداكالي: من محدثي المغرب ، إذا جاء للحرم يدرس فيه.

فالتدريس في الحرمين شرف ، و كان قديماً انتشار للتدريس بالمذاهب الأربعة ، و كان في الزمن القديم أكثر من الزمن المعاصر.

الشيخ عبد العزيز بن باز: أيضاً كان إذا قدم إلى مكة في بعض الأحيان يجلس للفتوى ، و يلقي كلمة مختصرة للناس ، ثم يستقبل أسئلتهم.

و سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله - صار رئيسًا لجامعة ، الجامعة الإسلامية ، استقطب للجامعة عدداً من العلماء ، و أتى بهم من عدة بلاد في أكثر من تخصص ، فصارت نهضة علمية في المدينة ، و ما زالت آثارها و ثمارها ، و إن كانت قبل خمسين عامًا تقريباً ، و الشيخ الألباني درس فيها ثلاث سنوات ، وصار فيها أيضاً صحوة حديثيه بعد مجيء الشيخ –رحمه الله-.

الشيخ محمد بن عثيمين: و لا تخفى دروسه ، سنين طويلة ، قرابة العشرين سنة.

الشيخ صالح البليهى: كان ممن يدرس في الحرم.

المقدمة الحادية و العشرين:

لماذا علماء الحرمين ؟

تكلمت عن عدد من العلماء في أكثر من بلد. و سبب الكلام عن علماء الحرمين: لأنهما محط أنظار العالم ، وموئل المسلمين في النُسك و الزيارة.

ولذا ، اشتهر الإمام مالك بالعلم مع أنه ما خرج من المدينة ، لكن لكثرة العلماء الذين يأتون ، فكانوا في زيارتهم للمدينة يتلقى عنهم ، كذلك لوجود عدد من العلماء فيها من كل بلد في المذاهب الأربعة ، و منهم من تولى الإمامة و الخطابة ، بل بعضهم لا يأتيه الدور إلا بعد سنة في الخطبة ؛ لكثرة من يخطب في الحرمين.

كما أن الأذان صار بالوراثة ، و ما زالت عوائل كبيرة في مكة و المدينة يتولون الأذان ، كذلك كانوا في زمن مضى يتولون الخطابة ، مثل: آل الطبري الشافعية: كانوا سنين هم الخطباء في مقام الشافعية ، و أحدهم عزل ، قرابة عام ألف للهجرة ، عُزل عن الخطابة ليلة العيد فلما علم صُعِق فمات ؛ لأنه يُعد وجاهة وشرف تولي الخطابة في الحرم وخطبة العيد. و معروف أن خطيب العيد لأي مقام من المقامات يستقبل الناس بعد العيد في بيته ، فيعد لهم الطعام و الشراب ، هذا خطيب العيد في المقام على حسب مذهبه ، فكان يُعد تلك الليلة ، فأخبره والده فصُعِق ومات.

كذلك لكثرة الطرق و الأساليب للتدريس التي تمارس في الحرمين ، فكانت أشبه بالجامعات. و يختلف التدريس على حسب العلماء ، و طرائقهم و مذاهبهم ، و حسب الكتب والمواسم ، فبعضهم في الموسم في وقت مجيء الناس يتوقف عن الشرح ، و يُخصص الكلام عن التوحيد و فتاوى الحجاج والمعتمرين ، كذلك يحصل فيه أحياناً مناظرات مباشرة ، و قد استفاد الشيخ صالح القاضي ، و هو من علماء عُنيزة و شيخ الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمهم الله – ، ذهب مدة لطلب العلم إلى مكة ، فأخذ منهم طريقة التدريس. كانت طريقة التدريس عند علماء نجد و في بعض البلاد ما زالت مستمرة طريقة (سم ، بركه) ، تقرأ الكتاب و لا يشرح لك الشيخ إلا إذا طلبت ، فلما ذهب الشيخ صالح القاضي إلى مكة، شاهد الطرائق من التدريس وأنواع من التدريس، وهو الشرح المُفصل و المطول ، فنقل هذه الفكرة إلى القصيم ، و تأثر به تلميذه السعدي ، وتأثر بالسعدي تلميذه الشيخ ابن عُثيمين ، و كذلك الشيخ محمد بن مانع ، و سيأتي الحديث عنه ، وكذلك الشيخ أحمد بن عيسى.

و من الأسباب: أن مكة أفضل بقاع الدنيا ، ثم بعدها المدينة. فلذا ، سأقدم علماء مكة ثم المدينة ، و يزداد الأمر شرفًا كما قلت.

المقدمة الثانية و العشرين:

إذا كان العالم الذي أترجم له إماماً للحرمين أو أحدهما أو مدرسًا فيهما ، أو أحدهما ، و هذه الطريقة في هذه المحاضرة لن أتكلم إلا عن من درس في الحرمين ، ومنهم من ألف عن الحرمين وإن كانت قصيرة وإشارات عامة، مثل الشيخ عمر عبد الجبار من مشايخ مكة، ألف كتابًا فيه سير كل من درس في مكة في الحرم، وكذلك الشيخ محمد بن ناصر العبودي الرحالة، له رحلة من بريدة إلى المدينة ، تكلم عن رحلته بالتفصيل أيام الشباب ، وخرجت في كتيب رائع و التقى بالسعدي في الطريق، أفطر عند أحد المشايخ ، عند الشيخ ابن عقيل في عُنيزة ، و استضافه الشيخ السعدي ، ثم واصلوا للمدينة آخر العشر الأواخر ، ثم العيد وتكلم عن جميع الزيارات ، عن جميع زياراته للعلماء وللأماكن، فتجدوا فيها ذكر المعالم التي و(العالم).

والشيخ عبد الله بن زاحم-رحمه الله- : إمام الحرم النبوي ، ألف كتابًا سماه (قضاة المدينة) وهو ليس بالطويل ، كل من مر اسمه من ضمن الوثائق والسجلات في محكمة المدينة يُقيده ويبحث عمن يعرف هذه الأسماء، وبعضهم أترك الكلام عنه إما لأني تكلمت عنه ، أو لمناسبته.

الشيخ عبد الظاهر أبو السمح

من علماء مصر، هذا الرجل صار إماماً وخطيباً للمسجد الحرام . من مؤسسي (جماعة أنصار السُنة) بمصر .

تم الاعتداء عليه في مسجده بالإسكندرية ، فنصره الله على الذين اعتدوا عليه و لم يرضوا أن يصلي بهم ، صلوا خلفه في الحرم ، إن كانوا قد عاشوا.

طلب الملك عبد العزيز-رحمه الله- من الشيخ محمد رشيد رضا أن يرسل له عدداً من العلماء يتولون الإمامة والتدريس في الحرم، فرشح له الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، ومعه تلميذه وصهره محمد عبد الرزاق حمزة، وهو أيضًا إمام الحرمين .

جاء الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إلى مكة ونقل معه عائلته وصارت له وجاهة في مكة ، باعتبار أن عنده دربة و خبرة في كيفية مقاومة البدع ؛ لأنه جاء من مصر وهو عالم ، وله طريقة في مقاومة البدع ، بل جميع خُطبه قرابة العشرين عامًا أكثرها في التوحيد والتحذير من الخرافات والخزعبلات ، وله عدة مقالات في الصحف و المجلات .

من أسباب معرفته لمذهب السلف اتصاله بالشيخ أمين الشنقيطي ، و ليس الشيخ المعروف المفسر محمد الأمين ، إنما شيخ آخر لا أعرف عنه شيئًا، لكن يظهر أنه من سكان مصر فهو الذي دلَّه على كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم .

و لما جاء الشيخ عبد الظاهر أبو السمح الحرم اجتمع عدد من الأئمة مع عدد من العلماء وأعيان مكة واقترحوا عليه فتح دار للحديث ، فكتب للملك عبد العزيز هذا الطلب ، فأقرهم على ذلك ، وذلك في رسالة طويلة رائعة من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عبد الظاهر مع أهل مكة ، فيها الحث على الاهتمام بالدليل واحترام الأئمة الأربعة واحترام الأئمة الأربعة ، يعني إذا فتحت داراً للحديث لا تكن هذه الدار سبباً لابتعاد الناس عن المذاهب .

ثم قال الملك عبد العزيز في الرسالة : وإذا كانت المدرسة سيعلم فيها مذهب أحمد وعدم العيب على أحد من العلماء من الأئمة فهذا نوافق عليه، وقرر فيها ما ترى مع الشيخ عبد الله بن الحسن آل الشيخ – و هو رئيس القضاة في مكة- قرر ما ترى معه الشيء المناسب ، أعتمد ذلك ، بهذا نفتح مدرسة.

فوضعوا لها نظامًا و أرسلوه للملك ، ثم جاءت الموافقة ، و وضع حفل كبير في افتتاح دار الحديث.

الشيخ عبد الظاهر أبو السمح صاحب صوت جميل ، وقد توفي ١٣٧٠ هـ وله مقطع تلاوة في الحرم ، ولا أدري هل هي له أم لا ؟ لأنه في وقته ربما يوجد التسجيل ، لكن ضعيف ، و التسجيل الذي سمعته من سورة الأعلى

يظهر أنها لغيره ، وإن كنت لا أعرف صوت الشيخ ، لكن من ترجم له تكلموا عنه أنه صاحب صوت جميل وبكاء كثير في التلاوة.

تولى رئاسة هيئات مكة ، و رشحه الملك عبد العزيز لإلقاء خطبة عرفة.

قيام المبتدعة عليه أيام شبابه في الإسكندرية:

بدأ بجمعية أنصار السنة في مصر، وتولى الإمامة في مسجده في الاسكندرية (مسجد السلفية) .

تولى الإمامة و الخطابة في هذا المسجد ، قاوم البدع و المخالفات ، فتضايق أهل البدع منه ، و كذبوا عليه. فمما قالوا عنه أنه يقول للناس : (أن العصا خير من رسول الله) . و يقولون أنه يقول : (أن العصا تنفعك ، تتوكأ عليها ، لكن النبي لو توسلت إليه ما نفعك) ، هذا مما كذبوا على الشيخ، وقالوا عنه: (أنه يدعو لمذهب خامس ، وأنه لا يؤمن بالمذاهب الأربعة، وأنه صعد على المنبر ليخطب فوجد علمين عند المنبر قال للناس ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟). وكتبوا لمحافظ الإسكندرية في ذلك الوقت هذه الكذبات وصدّقهم وأخذ برأيهم ، وزاد شرهم على الشيخ. وفى نفس الوقت ، أعطوا أحد العوام عصى وقالوا له نحن نريد أن نناظر عبد الظاهر مناظرة في المسجد علانية ، ونسأله عن الشفاعة لرسول الله ﷺ لو سألناه هل يشفع لنا الآن أم لا ؟ إن قال لا : اضربه.

فسألوا الشيخ في المناظرة ، فقال : (إن النبي ﷺ قد مات ، والآن ما ينفع ولا يضر) فضربه ذلك الرجل ، ثم نقل بعض الكذبة للمحافظ أنّ الشيخ أثار مشكلة في المسجد ، فأمر المحافظ بإغلاق المسجد ، وطرد الشيخ منه ، ومُنع من الإمامة والخطابة ، كان في ذلك الوقت الشيخ محمد تقي الدين الهلالي – وهو عالم ومحدث مغربي – تولى الإشراف على الدروس في الحرم النبوي ، وله محاضرة مستقلة ، لكن كان الشيخ في تلك الفترة موجود في الإسكندرية ، وكان في ذلك الوقت قد ترك التصوف ويدعو للتوحيد. فجاء إلى الشيخ محمد تقي الدين الهلالي و قال له : إن المسجد مُنعت منه وقد طُردت منه وسيسد الباب ، سيُغلق المسجد ، فلو قمت بالتدريس فذهب الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي إلى المسجد وبدأ بالإمامة والتدريس ، و جاءت إليه الشرطة أو الأمن من المحافظ و قالوا : أنت الشيخ عبد الظاهر ؟، قال : لا ، محمد تقي الدين الهلالي المغربي ، فسكتوا. خافوا ؛ لأن المغاربة في ذلك الوقت لهم امتياز فرنسي ، و مصر كانت مستعمره فرنسية ، فأي متنقل أو شخص مغربي له أحقية التنقل أينما شاء في مصر وكأنه فرنسي ، فخافوا منه وتراجعوا ، والمحافظ كان مع المبتدعة فلم يكتفوا بذلك ، فكتبوا للملك فؤاد يشتكون على المحافظ أنه وهابي ، من السلفية ؛ لأنه سكت عنه ولم يضربه ولم يسجنه ، إنما منعه من المسجد ، فعلم بذلك المحافظ ، واستدعاهم جميعًا ، قال: أنتم وقعتم للملك ، كتبتم هذه ؟ ، دخلوا عليه واحدًا واحدًا ، يقررهم بتوقيعاتهم ، فكل منهم واقف

يقول : نعم هذا توقيعي ، فيؤنبه ويطرده ، واحدًا واحدًا حتى طردهم جميعًا ، أو قبل أن يطردهم قال: أنتم دعاة فتنة ، إذا كان عبد الظاهر وهو مصري وهابي ، كيف محمد تقي الدين الهلالي المغربي يصير وهابي؟ وأنتم إذا فعلتم ذلك أثرتم علينا فرنسا ؛ لأن الخوف صار أمنياً ، أثرتم علينا فرنسا ، هذه المرة أعفو عنكم ، لكن مرة أخرى سأعاقبكم ، ففرقهم وطردهم.

و نصر الله -عز وجل- الشيخ عبد الظاهر عليهم فأستمر الشيخ خطيباً في ذلك المسجد ، ويأتي يحضر الخطبة والدروس.

الشيخ عبد الظاهر ، بعد شهرين من هذه المشكلة رجع إلى الخطابة والإمامة ونصره الله على أعدائه ، ثم ما هي إلا سنتين تقريباً حتى رشح إماماً للحرم ، فالله -عز وجل- نصره عليهم.

و الذين امتنعوا عن الصلاة خلفه وضربوه و استعدوا عليه السلطة ، صلوا خلفه في الحرم المكي.

الشيخ أحمد بن عيسى

هو من علماء شقراء ، ذهب إلى مكة لأجل التجارة و التعليم.

كان في تلك الفترة اضطرابات في نجد بسبب بعض القبائل ، و ضُعف الحكم في وقته ؛ فذهب إلى مكة ، وفتح دكاناً للتجارة يبيع فيه أقمشة ، و في نفس الوقت يدرس .

وهذا يذكرنا بطريقة الشيخ القرعاوي في جيزان ، و طريقة الشيخ الألباني أيضاً يصلح الساعات و يستقبل الطلاب فيدرسهم في الدكان. فكانت هذه طريقة الشيخ أحمد بن عيسى ، وهو أكبر منهم ، فقد مات قبل مائة سنة تقريباً.

أسباب انتشار دعوة الشيخ أحمد بن عيسى في مكة :

صار الشريف عون القرشي من محبي الشيخ ، و يُعطيه و يدعمه بما يريد ، و يساعده في نشر الدعوة و محاصرة الخرافات والتصوف .

فمن أسباب انتشار دعوته : أنّ أحد التجار يدعى التلمساني ، كان يأتي للتجارة بين مكة وجدة والطائف ، يأتي بالأقمشة إلى جدة فيشتريها منه الشيخ أحمد بن عيسى بألف دينار أو درهم - عملتهم التي كانت في وقتهم- ، أربعمائة منهم مُعجلة ، و الباقي إلى نهاية العام ، في كل سنة يأتي من مصر هذا التاجر في الحج ، ويأتي ببعض الأقمشة معه ويحج و يأخذ الأموال و يذهب ، فاستمر معه الشيخ بالتعامل .

قال له مرة التلمساني – وقد كان أشعرياً و صوفياً – : منذ أربعين سنة وأنا أعامل الناس ، ما وجدت أصدق منك يا وهابي ، ونسمع عنكم خارج البلاد كلاماً سيئاً ، لعله من كلام السياسيين ضدكم ، و ما وجدت أصدق منك. و بدأ يُعطي الشيخ بعض الشبهات حول الإمام محمد بن عبد الوهاب و دعوته . و الشيخ كلما ذكر شيئاً أجابه ، و استمرت المناظرة ثلاثة أيام ، حتى ارتفع بها التلمساني وترك التصوف و مذهب الأشاعرة ، فصار داعماً قوياً لمذهب السلف بنشر الكتب.

و التلمساني هذا أثر بالتاجر العالم الوجيه محمد نصيف.

الشيخ أحمد بن عيسى له علاقة كما سبق و أشرت بالشريف عون القرشي حاكم مكة ، وبالتأثير عليه وحسن التعامل معه أعطاه الموافقة لمنع البدع ، بل كان من جرأة الشيخ أحمد بن عيسى أن يأتي بعض حلق المتصوفة والأذكار المبتدعة في الحرم فيفرقهم بعصاه و يهربون ، و هذا قبل أن يتعرف على الشريف أول دخوله إلى مكة ، وقام ضده بعض المبتدعة وأساؤا الكلام عليه فذهبوا للشريف عون وقالوا : إن هذا الرجل يُنكر علينا الدعاء والأذكار والاستغفار والصلاة على رسول الله ، فقال لما استُدعى الشيخ عند الشريف عون ، قال الشيخ : أنت – الشريف عون – هل ترضي أن يُسميك الناس يا عون يا عون يا عون أو يا عو يا عو ؟ فينادونك بهذا الشيء ، فهل ترضى؟ قال : ما أرضى . قال : كيف هؤلاء ينادون الله بهو هو ؟ حلقة كاملة بهو هو مستمرة على هذا الذي يسمونه

ذكراً وليس بذكر ، فهل ترضى بذلك؟ يقفون عند بابك يا عو، يا عو؟ فقال: لا أرضى بذلك. فصار سببًا لمنع هذه الحلق ، وأعطاه الموافقة لهدم القباب والقبور .

و من سلامة منهج الشريف عون وتأثره بمذهب السلف أنه بدأ يتهمه الخرافيون والصوفية والرافضة في مكة بأنه يأخذ المكوس والمظالم والرشاوى ويطرد أعيان مكة ويفرق العلماء ويوقف المذاهب الأربعة ، كذبوا عليه كذبات كثيرة وتأثر بهذا الكلام أحمد شوقي ، وكتب أبياتاً يستنجد بها لأهل مكة من ظلم الشريف عون .

و أحمد شوقي ليس مُحققاً إنما شاعر فقط ، فلا يُظَن أن شعره نصاً حتى ما يُرد عليه ، بل يُرد عليه. فأزيلت ولله الحمد بعض البدع و القباب و القبور.

و ذكر أمين الريحاني في كتاب (**ملوك العرب**) : أن القناصل الأجانب في جدة لما بُدئ هدم القباب والقبور اعترضوا على هدم قبة حواء ، قبر حواء ، قالوا : لأنها أم الجميع. انظر الرابط بين العدو أو المستعمر وبين التصوف.

الشيخ حسن المشاط

مدرس في الحرم ، أحد علماء مكة وله شرح مختصر للبيقونية منتشر بين مبتدئي طلاب العلم ، مع أن علمه وشهرته في شتى الفنون.

درس ألفية ابن مالك ثمان مرات في الحرم . و انظر إذا كان تدريسه لألفية ابن مالك تكرر ثمان مرات ، فماذا ، أو كم درّس باقي الكتب أو باقي الفنون؟! إذا كانت الألفية تُدرس بهذا القدر ، بل درّس الكتب الستة في الحرم و تولى القضاء في مكة ، وحكم بقضية و نُقضت من بعض القضاة في مكة وأُحيلت عل الشيخ محمد بن إبراهيم فأقره .

و لا يسمح للطالب في حلقته أن يتكلم إلا بالفصحى ، و له أسانيد عدة و شيوخ ؛ لأنه سافر لأكثر من بلد.

عينه الملك عبد العزيز -رحمه الله- عضواً في هيئة تمييز الأحكام في بدايات القضاء ، لكن لمّا عينه قاضياً هرب من القضاء ، فذهب للسودان ، ثم مصر ، ثم فلسطين ، ثم رجع لمكة و صار نائب رئيس المحكمة إدارياً ، ولم يرض بالقضاء ، هذا ما وقفت عليه من أخبار الشيخ حسن المشاط.

الشيخ محمد نصيف

هو العالم الوجيه محمد نصيف ، بيته موئل و مرجع لكل قادم إلى جدة .

معلوم أنَّ علي الطنطاوي رحمه الله لا يمدح أي شخص ، فإذا مدح فهو ميزان دقيق في المدح ، ولا يستغرب من أي مظاهر في الحياة ، وقد لقي الكثير وانتقل بين عدة بلاد ، و شاهد عدداً من العلماء ، فلا يلفت انتباهه أي شخص.

و ممن لفت انتباهه الشيخ محمد نصيف . ولد سنة ١٣٠٢ للهجرة ، و توفي ١٣٩١ هـ ، قريب قبل إحدى وأربعين سنة.

اجتمع هذا الرجل – محمد نصيف – والملك عبد العزيز بأعيان جدة ؛ لأنه وجيه ، و يسميه الشيخ محمد رشيد رضا : الملك الذي لم يُتوج ، ملك الحجاز الذي لم يُتوج.

فإذا كان محمد رشيد رضا يقول عنه هذا الكلام ، وتقي الدين الهلالي يقول عنه ، وعلي الطنطاوي كما ستسمعون ، فكيف يكون حال هذا الرجل؟

اجتمع به الملك عبد العزيز وجمع له أعيان جدة أو أعيان الحجاز لأخذ البيعة عليهم.

مكتبته فيها أكثر من ستة آلاف مُجلد ، قال عنه علي الطنطاوي : عين أعيان جدة . و أكبر مكتبة رآها الطنطاوي مكتبة محمد نصيف ، يقول: هي مفتوحة الأبواب مثل مائدته لكل قادم .

قال : وهو تاريخ يمشي على الأرض ، أو يمشي على قدمين.

قال عنه الشيخ محمد بن مانع : لا أعرف رجلاً يساويه في الكرم وحُسن الخُلق.

محمد نصيف تأثر بالتلمساني ، و التلمساني تأثر بالشيخ أحمد بن عيسى ، فطبع كثيراً من الكتب ووزعها على أكثر مكتبات العلماء في العالم .

قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم : جبل علم ، جبل علم يُخيف كل من حوله. الكلمة هذه تعتبر من محمد بن إبراهيم وهو الذي يخبُر الرجال ، و تعتبر كلمة فيها تفخيم لهذا الرجل. جبل علم يُخيف كل من حوله.

و قلما يوجد عالم إلا وصله بهدية أو كتاب أو دخل بيته ، أو سمع عنه الكرم وحُسن الخلق .

غالباً لا يدخل عليه أحد إلا و يجده يقرأ في كتاب ، و لا يخرج كتاب في السير و الطبقات إلا واشتراه مهما ارتفع. و حبه للكتب منذ الصغر ، أرسله والده أو جده لشراء أمةٍ في جدة ، فلما ذهب لسوق الإماء والموالي شاهد معاملة امرأة لمولاتها التي ستبيعها في السوق ، تشتد عليها وتهينها فتألم وهو صغير فترك شراء الأمة وذهب لمبسط فيه كتب فاشترى كتاباً ورجع لبيته و شكره والده أو جده ، هذا من الصغر. أحياناً وهو جالس ، بعدما صار تاجراً وجيهاً عالماً ، يرسل خادمه لإحضار كتاب و يحدد له موضع الكتاب و موضع المسألة في محلها، فيخرج له المسألة كما قال .

و لما ذهب للعلاج في لندن في آخر حياته كان يزور المرضى من معارفه، رغم تعبه آخر حياته و ثقل مشيه. و مرضه في ركبتيه ، لكنه كان يسير بنظام مستمر في استقباله الناس و كرمه ، و زيارته للناس حتى في لندن.

طيب الخلق ، و حسن الابتسامة ، كل من لقيه يذكر عنه ذلك ، حتى أن له صورة مع الملك سعود متكئ على عصا والملك سعود بجانبه وهو أكبر من الملك سعود و هو بجانبه و يبتسمان ، يظهر أنه أعطاه طرفة ؛ ذلك أنه مذكور عنه حسن الخلق والابتسامة ، حتى وهو مريض يدخل السرور على من يزوره. و لما ثقل جداً في آخر حياته ، كان لا يُصلي إلا واقفاً.

قال تقي الدين الهلالي : مناقبه لا يفي بها إلا مؤلف خاص ، وقد طفت كثيراً من العالم فما رأيت أحداً – مع أن تقي الدين الهلالي يعرف أربع لغات: ألمانية ، فرنسية ، أردية ، و الفارسية . أربع لغات أو خمس ، و هو عالم في الحديث ، و ذهب لأكثر من بلد ، وسمى البلاد التي ذهب إليها ، يقول : حتى القطب الشمالي ذهبت إليه. - فما رأيت عالماً كمحمد نصيف ، و ما رأيت أحداً من العلماء و الوجهاء أوتي خدمة من خدمة العلم والكرم والضيافة ما يوجد عند محمد نصيف -رحمه الله - .

و العبر من مثل هذه المواقف قد تطول ، لكن يكفيكم كما ذكرت ذكر الخبر.

الشيخ عبد الحق الهاشمي

ابنه الشيخ عبد الوكيل الهاشمي المُسند المُحدِث الموجود في مكة . و كذلك ابنه أبو تراب الظاهري من أهل اللغة والبلاغة ، و محبي كتب الأدب يعرفون من أبو تراب الظاهري ، و له برامج في إذاعة جدة ، لكن الشيخ عبد الحق لا أعرف له شيئاً مسجلاً ، و لا أنفي ذلك.

الشيخ عبد الحق الهاشمي ولد ١٣٠٢ هـ ، و توفي ١٣٩٤ هـ ، وهو من علماء الهند . يرجع نسبه إلى آل البيت ، منذ الصغر و هو يكره علم المنطق والفلسفة ، و يحب الفقه و الحديث و التفسير ، و ترك التقليد ، فصار من دعاة مذهب السلف في شبابه في الهند ، حتى اشتد عليه أيضاً المبتدعة، وكان في شبابه في الهند يدرس في أحد المعاهد الشرعية أكثر من عشر ساعات شبه متواصلة ، و صار قاضياً في بلده ، ثم صار رئيساً أو مديراً لرئاسة علماء الهند ، و كانت له مناظرات ، كل هذا في الهند قبل أن يأتي لمكة.

أسلم على يديه عدد كبير ، و كان يأتي لمكة أيام الأشراف ، و لما تولى الملك عبد العزيز أتى إليه مع بعض العلماء و بايع الملك عبد العزيز ، ثم لما سمعت به الحكومة الهندية منعوه من الرجوع للبلد ، فكان خيراً للشيخ فاستمر أكثر من عشرين سنة مدرساً للحرم ، و لم يرجع لبلده .

له شرح تراجم البُخاري ، و له تعليق أو شرح الصحيحين و المسند ، و مؤلفاته أكثر من أربعين كتاباً ، لم يطبع أكثرها .

مؤلفات الشيخ يذكر عنها الجودة ، و قد رأيت له مطبوعاً حول تراجم أو شرح بعض أبواب البخاري ، أسس دار الحديث بالهند ، و تخرج من عنده طلاب كثر ، و هجره بعض أقرانه بسبب محاربته للتقليد ، و هو من أعلى الأسانيد في الحديث.

الشيخ محمد بن مانع

من علماء مكة ، و إن كان تلقى و درس في أكثر من بلد ، لكن أنا أذكر أنه في مكة ؛ لأنه درس في الحرم. الشيخ محمد بن مانع ولد عام ١٣٠٠ هـ وتوفي ١٣٨٥ هـ. من علماء عُنيزة ، لكن لم يقم بها إلا قليلاً ، نشأ يتيماً ، قامت أمه على رعايته ، و حرصت عليه و أرسلته لعلماء بُريدة ، ثم بعض علماء القصيم . ثم لما جاوز العشرين قليلاً علت همته فذهب للعراق وطلب العلم عند الألوسي وبعض العلماء في العراق ، و ذهب للشام و تتلمذ على الشيخ ابن بدران ، ثم ذهب لمصر و تتلمذ على بعض علماء الأزهر ، و دُعي للبحرين فصار مُعلماً و داعية. ثم دعاه حاكم قطر فأقام فيها أربعاً و عشرين سنة قاضياً ومفتياً ، و انشأ مدرسةً أو معهداً دينياً تخرج من عنده الشيخ ابن محمود من علماء قطر – وقد توفي الشيخ عبد الله الأنصاري ومن تلاميذه الشيخ ابن سعدي ، لكن ابن سعدي يستفيد منه إذا جاء إلى القصيم – لما رجع الشيخ ابن مانع للمملكة من قطر في زيارة

للملك عبد العزيز، زيارة واحدة فتمسك به وجعله رئيسًا لهيئة تمييز القضايا ومدرساً في الحرم ورئيس هيئة مكة ورئيس الوعظ والإرشاد الديني في الحرم ، ثم مشرفاً على دار التوحيد التي تخرج منها كبار العلماء وكانت في الطائف. وهي مدرسة ما زالت موجودة وقد رأيتها بعدما رُممت و جُددت ، هي موجودة بجانب جامع الملك فؤاد ، كانت قد خرّجت عدداً من العلماء ، وهو مشرف عليها.

كل هذه الولايات تولاها ثم صار مديراً للمعارف ، و استقطب عدداً من المدرسين للتدريس لدار التوحيد و للمعارف ، و هو أول من بدأ بالمناهج الدراسية ، و صار مشرفاً في نفس الوقت على طباعة الكتب في قطر ، وحقق عدداً من الكتب و اختصرها ، و مازالت تطبع الكتب في قطر بعمل من جدهم مؤسس قطر.

لما جاوز الشيخ محمد بن مانع الثمانين كان يذهب إلى المسجد متكئاً على عصا ، و ربما سقط و هو يُصلي أكثر من مرة ، ولا يترك الجماعة .

ارتحل لعدة بلاد كما سبق ، ومن محبة أحد مشايخه في العراق أنه لما أراد أن يودعه أيام الشباب و هو يطلب العلم قال: إني ليُحزنني أن تذهبوا به. و ذلك لما أراد أن يمشي مع القافلة ، ودّعه بهذه الكلمات ، فيُعرف منه النجابة و العلم و الزكاة من أيام شبابه ، و له مؤلفات وتحقيقات.

الشيخ عبد الرحمن المُعلمي

سأذكر عنه موقف من المواقف في التواضع ، يُسمى ذهبي العصر؛ لمعرفته بالحديث. و يكفي أنه عندما كان دون الثلاثين كان في اليمن يُسمى شيخ الإسلام.

عبد الرحمن بن يحي المُعلمي، وليست من الألقاب التي يقولها الشباب تساهلاً ، فلان حافظ الكتب الستة ، فلان شيخ الإسلام ، فقد قيلت له وهو قاضي دون الثلاثين ، بل في بداية العشرين. لن أتكلم عنه إلا في موقف :

لما انتقل من اليمن إلى جيزان ثم إلى الهند مصححًا للكتب ومؤلفاً ، جاء وصار أميناً لمكتبة الحرم ، فهو المسئول عن مكتبة الحرم ، يدقق و يُصحح في الكتب ، و يخرج التحقيقات و يرد على المبتدعة ، و يخدم ضيوف المكتبة. كل من قدم للمكتبة يعمل لهم الشاي و يضعه عندهم ، و لا يأنف من ذلك.

جاء الشيخ أحمد شاكر أبو الأشبال المحدث المصري ، جاء إلى مكتبة الحرم لمقابلة هذا الضخم العلم عبد الرحمن بن يحي المعلمي ، يسمع عنه و يقرأ مؤلفاته ، و يريد أن يقابله ، فلما جلس أتى له بكأس من الشاي ، و ذهب المعلمي يخدم أحمد شاكر ، و ضع له الشاي ومضى. ثم سأل عنه لأنه لم يعرفه و ليس عليه أُبهة العلم بلباس يختلف عن الناس ، و إنما أمين مكتبة الحرم ، فقالوا : هذا الذي خدمك هو عبد الرحمن المعلمي ، فبكى.

هذه من مواقف أحمد شاكر مع المعلمي ، و لعله يتسع المجال لذكر أخباره مستقبلاً ؛ لأنه –كما قيل– ذهبي العصر المجدد لعلم الحديث في بلاد الحجاز.

الشيخ محمد المُختار الشنقيطي

شخصية من علماء المدينة ، والد الواعظ العالم الفقيه عضو هيئة كبار العلماء محمد المختار الشنقيطي ابن محمد المُختار ، وأنا أعنى هنا الوالد. كان قد درس في الجامعة الإسلامية ، و درس في الحرم ، و ابنه مثله.

الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي – الشيخ الموجود الآن – تكلم عن والده في بعض المناسبات ، يتكلم عنه يسيراً من ضمن المحاضرات والمواعظ ، و يدعو له في بعض المحاضرات ، و يدعو لوالديه و يبكي . فمما قاله عن والده : أنه لما كان في زمن طلب العلم كان يتنقل بين علماء بلده في شنقيط حتى قطع أكثر من ألف كيلو متر ليس معه إلا الكتب . و لما وصل للمدينة أول ما وصل ذهب إلى مكة حاجاً ماشياً، جاء لهذه البلاد وهو عالم حافظ ومع مجيئه لازم العلماء في الحرمين وتلقى عنهم وتتلمذ، فالتواضع الذي يوجد عند الشيخ محمد بن محمد المختار – حفظه الله – تواضع مثل والده الشيخ محمد المختار – رحمه الله– ، و إن كان الأولى أن

نتكلم عن الأحياء ، لكن لزاماً باعتبار أني تكلمت عن الوالد ، فيذكر الشيخ محمد المختار – حفظه الله – عن نفسه أنها كانت تمر المسألة أحياناً ويعرف الجواب ، يقول : وأستظهر الكلام نقلاً عن العلماء ، لكن لا أتكلم و في المجلس من العلماء احتراماً لهم ، فباحترام الشيخ لمشايخه و أقرانه وحسن أدبه صار طلابه ومن تأثر به يُعرفون بين الطلاب في المدينة من غيرهم ، فوالده لازم علماء الحرمين وأخذ عنهم العلم و الإجازات في الحديث ، ثم انتقل إلى الرياض وتتلمذ على الشيخ محمد بن إبراهيم ، ثم رُشِح للتدريس في المعهد العلمي ، و المعهد العلمي في ذلك الوقت يُعد بمرتبة الجامعات ؛ لأن فيه عدداً من الطلاب المتميزين ، ومازال ، و لكن في زمن الشيخ ابن إبراهيم كان أقوى ، و مناهج خاصة ، و علماء متخصصين ، ثم درّس في الحرم آخر عمره ، وكان له بعد كل فرض درس لا ينقطع ، وهو موسوعة في كل فن ، ولا يقل علماً عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - صاحب أضواء البيان – لكن الشهرة صارت للأمين . وقته خلال اليوم كما يقول عنه ابنه الشيخ محمد : يقوم الليل ولا يتركه أبدًا. و إذا سمع الآذان الأول بعد قيام الليل، يقوم الليل ثم يحين الآذان الأول ، و ذلك في الحرم قبل ساعة من وقت الفجر ، فيبدأ بقراءة تفسير الطبري والقرطبي إلى الآذان الثاني ، و إذا سمع الأذان الثاني نزل إلى الحرم ذاكرًا لله -عز وجل- مستغفراً ولا يكلمه أحد.

يذهب كل يوم مرتين لمزرعته ويذهب للتدريس في الجامعة الإسلامية ، و لا يُخالط الناس، وربما لا يعرف بين الناس لعدم حبه للمخالطة.

أصيب بحساسية في جلده منعه الطبيب من البعد عن التكييف ، فكان لا يخرج في النهار أبدا في آخر عمره ، و كان يدرس الطلاب في بيته ، و يقول: والله إن قلبي يتفطر ألماً على ترك صلاة الجماعة.

ما يترك التدريس و يأتي إليه الطلاب ، و قبل أذان المغرب بقليل ينزل معهم إلى الحرم ويدرس في الحرم ، هذا بعد المنع من الأطباء ، مثلما منع الأطباء الشيخ الألباني من القراءة فلم يمتنع ، و مثل ما منع الأطباء شيخ الإسلام ابن تيميه فلم يمتنع ، و الشيخ عبد الرحمن الدوسري منع فلم يمتنع ، و هكذا عدد من العلماء ، و الشيخ ابن عقيل منعه الأطباء و أولاده أو منعوا من حوله أن يُقرأ عليه شيء ، فلم يمتنع. هي حياتهم في العلم ، ما يتحمل أن يبقى بلا علم ، لكن في رمضان يتغير برنامجه مع المنع من الأطباء ، فكل الصلوات يصليها في الحرم ويدرس بعد كل فرض.

رأيت مكتبته عندما زرت الشيخ محمد المختار قبل خمس عشرة سنة تقريباً ، أكرمنا جزاه الله خيراً إكراماً لا نستحقه ، و قد كنا طلاب في الجامعة ، لكن لكرمه وحسن خلقه ، و من دون موعد ولا ترتيب ، سلمنا عليه عند باب السلام ، فأرسل لنا أحد الطلاب فأتانا في السكن وذهبنا إلى الشيخ فكان الغداء في مكتبة والده ، رأيتها مكتبة صغيرة وقليلة ، لكن يظهر أنها

محفوظة و غيرها محفوظ ، والشيخ يعرف عنه أن كتبه ليست له ، لكثرة إعارته الكتب للطلاب ، هذا والد الشيخ.

مؤلفاته أقل من علمه ، فله كتابان : كتاب عن الأضاحي سؤال وجواب ، وله تعليق على سنن النسائي بدأ بتأليفه و كتب منه أربعة مجلدات ولما وصل إلى الاستغفار بعد الصلاة توقف عن التأليف وبعدها لم تطل به الحياة فمات.

يذكر عنه ابنه الشيخ محمد أيضاً أنه حفظ من دواوين الشعر و من الأبيات قرابة عشرة الآف بيت ، و هذا ربما يكون من أقل محفوظاته.

الشيخ محمد بن تركي

ولد ١٣٠٠ هـ ، و توفي ١٣٨٠هـ ، لاحظ أن هؤلاء العلماء من غير ترتيب، اتفاقًا، صار عندي أن ولادتهم في مثل هذا التاريخ.

الشيخ محمد بن تركي ، لا أعلم في المعاصرين من درس في المساجد الثلاثة غيره ، درس في المسجد الأقصى ، و في الحرم المكي ، و الحرم النبوي ، حتى تعرف قدر هذا الشيخ أتيت بهذه المقدمة. و الشيخ من علماء عنيزة ، و لم يبق بها كثيراً ، سافر لمكة لطلب العلم ، و ذهب لعلماء الشام فتلقى على ابن

بدران الحنبلي الفقيه ، وسافر للهند للتجارة ، و قرأ على علماء الهند في الحديث .

جلس للتدريس في الحرم المكي وسافر عام ألف و ثلاثمائة و أربعين للقدس ودرس فيه في شهر رمضان ، يقول محمد أمين الحسيني و الذي ينقل عنه الطنطاوي : أنه يحفظ البخاري بالسند ، ولا ينام إلا قليلا ، و إذا جاءه النوم استند و نام ، ثم نهض . و محمد أمين الحسيني كان هو المشرف على الدروس في المسجد الأقصى - عجل الله فرجه ورزقنا وإياكم الاعتكاف فيه - ، فيقول محمد أمين الحسيني : لم يمر على هذا الكرسي بعد محمد عبده أعلم من محمد بن تركي.

و درس في الحرم النبوي عام خمسين و ثلاثمائة و ألف للهجرة ، و هو من أقران الشيخ عبد الرحمن السعدي، فقد ولدا في العام نفسه.

لتقدم الشيخ محمد بن تركي في العلم ، ما كان يحضر مع تلاميذ السعدي ، كان الشيخ السعدي يذهب لبيته و يتدارس معه بعض متون الفقه . و طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس فلم يرض أن يدرس في المعهد العلمي في الرياض ؛ لأن الذهاب في ذلك الوقت فيه شيء من المشقة ، يصعب عليه ترك مكة و المدينة ، كيف يترك المدينة وقد طاب له المقام بها ، و أنتم تلاحظون تطمئن النفس بمشاهدة المدينة ، المشاهدة فقط ، فكيف

بالذهاب إليها ، لا أقول ذلك مبالغة ، من ذهب للمدينة يعرف هذا الشيء.

فرق الشيخ محمد بن تركي جميع ثروته و ما يملك على تحصيل العلم و على بذله ، كان في درسه يحب ذكر الألغاز العلمية و الفقهية .

في نشأته يتيما ذهب للتجارة لنقل البضائع و عمره أربعة عشر عاماً بين جدة و مكة . أيام الشريف حسين في مكة ، و كان له ولاية على المدينة ، دعى خطيب المسجد النبوي الناس إلى طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ في الخطبة و حث على شد الرحل لزيارة القبر ، فقام الشيخ بعد الخطبة و كذّبه و رد عليه ، وقال لم يأمر النبي ﷺ بشد الرحل ، و لم يقل اطلبوا مني الشفاعة ، هذا من مواقف الشيخ -رحمه الله-.

ومن العلماء

الشيخ عبد الرحمن الإفريقي ، مدرس في الحرم المكي ، و سيرته فيها شيء من الطول، وبقي غيره كثير.

بقي من العلماء الذين لم أذكرهم : الشيخ محمد تقي الدين الهلالي ، و أبو بكر خوقير الكتبي ، و أبو بكر ممن تأثر بدعوة الشيخ أحمد بن عيسى ، و قد سجن لأجل الدعوة .

كذلك محمد نصيف الآنف الذكر ، كُذِب عليه فنُقل و سُجن بقبرص ، و شفع له بعض الوجهاء و المحسنين ، و إلا قُتل بسبب كذبات من بعض الصوفية و أهل البدع على هؤلاء المساكين السلفية ، يكذب عليهم ، يقاتلون و يُقتَلون و يكفرون . لو جمعت التاريخ المُعاصر لوجدت الكثير من هذا ، و بالمقابل إذا صار لهم الغلبة و النصرة ولله الحمد لا أعرف أحداً منهم تسلط على هؤلاء المبتدعة ، بل كان الشيخ ابن بدران يتألم و يكتب للشيخ عبد الله بن خلف الدحيان من علماء الكويت ، يقول : و الذي دل الفرنسيين على عوراتنا في بلاد الشام و دخلوا بيوتنا و انتهكوا الأعراض ، الذين دلوهم هم عُباد القبور. تجدون ذلك في الرسائل ، على أن الشيخ ابن بدران عُودي.

كذلك الشيخ جمال الدين القاسمي ، يقول الشيخ على الطنطاوي عنه: اجتمع بعض علماء المذاهب المتعصبة فتوّبوه ، كتبوا عليه تعهد أن لا تفتي بالكتاب والسُنة ، أي على جمال الدين القاسمي ، فلا تستغرب من شدتهم على الشيخ الألباني و عدد من العلماء في كل بلد ، فهذه بضاعتهم ، هذه طريقتهم ، لا يستطيعون أن يقابلون الحجة.

و الشيخ أبو بكر خوقي الكتبي اتهم أنه سلفي مع أن والده كان أحد أئمة الحرم، فأوذي –رحمه الله – .

الشيخ عبيد الله الأفغاني –رحمه الله – توفي قبل أقل من شهر من القُراء ، من علماء المدينة ، و له سيرة لطيفة و شيقة ، و مشى الكثير على قدميه من أفغانستان إلى المملكة ، و له أخبار .

و منهم أيضًا الشيخ محمد عبد الرازق حمزة إمام الحرم ، صهر الشيخ عبد الظاهر السمح.

اللهم وفقنا إلى ما تحب و ترضى ، اللهم عافنا و اعف عنا ، و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم . اللهم يسر لنا اليسر وجنبنا العسر ، وعافنا واعف عنا . اللهم اغننا بالعلم و زينا بالحلم ، و أكرمنا بالتقوى و جملنا بالعافية . اللهم إنا نسألك الهدى و التقى والعفاف والغنى ، اللهم إنا نشهدك على حب هؤلاء في الله ، اللهم اجمعنا وإياهم في الفردوس الأعلى.